تجليات مفهوم "النظم" عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة.

إعداد
الدكتور موسى حسين محمّد البشير(أريكيوسولا)
محاضر بقسم اللغة العربية والدراسات الدؤلية، كلية الآداب، جامعة إلورن، نيجيريا

Dr Musa Husain Muhammad –Bashir
musa.hmb@unilorin.edu.ng

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى إعادة قراءة مفهوم "النظم" كما بلوره عبد القاهر الجرجاني، من خلال مقاربة تحليلية تكاملية تستحضر منجزات الدراسات الأسلوبية واللسانية الحديثة، وذلك بهدف الكشف عن الأبعاد البنيوية والدلالية الكامنة في هذا المفهوم المركزي في البلاغة العربية. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن نظرية النظم لا تقتصر على كونها تصورًا بلاغيًا تقليديًا، بل تمثل نموذجًا مبكرًا لتحليل العلاقات اللغوية داخل النص، بما يجعلها قابلة للتقاطع مع مفاهيم أسلوبية معاصرة مثل البنية، والانزياح، والتماسك النصي، والوظيفة الجمالية للغة. ويعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي مدعوم بمقاربة مقارنة، حيث يتم تحليل نصوص أصلية من تراث الجرجاني، ولا سيما دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، مع ربطها بإسهامات حديثة في الأسلوبية، خاصة في إطار اللسانيات الوظيفية والأسلوبية النصية. كما يستند إلى مراجعة نقدية لأهم الدراسات السابقة العربية والغربية، للكشف عن مسارات تطور البحث الأسلوبي، ومدى إمكان إعادة توظيف التراث البلاغي ضمن هذه المسارات. ويتضمن البحث تطبيقات تحليلية على نماذج نصية متنوعة (شعرية ونثرية قديمة وحديثة)، بالإضافة إلى توظيف مؤشرات تحليلية كمية مستمدة من الأسلوبية الحاسوبية(Stylometry) ، بهدف اختبار صلاحية مفهوم النظم بوصفه أداة تحليلية قابلة للقياس. وتُظهر النتائج وجود تقاطعات عميقة بين نظرية النظم ومفاهيم أسلوبية حديثة، بما يؤكد أن الجرجاني قد أسّس، بصورة مبكرة، لرؤية بنيوية–وظيفية للنص تتجاوز حدود البلاغة التقليدية.ويخلص البحث إلى أن نظرية النظم تمثل جسرًا معرفيًا متينًا بين البلاغة العربية التراثية والدراسات الأسلوبية المعاصرة، وأن إعادة تفعيلها ضمن مقاربات لسانية ورقمية حديثة يفتح آفاقًا جديدة لتطوير تحليل النصوص العربية في السياقين النقدي واللساني.

الكلمات المفتاحية :النظم، البلاغة العربية، الأسلوبية، التحليل النصي، اللسانيات الوظيفية، الأسلوبية الحاسوبية.

المقدمة

تُعدّ البلاغة العربية من أعرق الحقول المعرفية في التراث اللغوي والنقدي، إذ لم تقتصر وظيفتها على وصف مظاهر الجمال في الخطاب، بل تجاوزت ذلك إلى بناء تصورات عميقة حول طبيعة اللغة وآليات إنتاج المعنى. وقد شهد هذا العلم تطورًا نوعيًا بلغ ذروته مع إسهامات عبد القاهر الجرجاني، الذي أحدث نقلة إبستمولوجية حاسمة من النظر إلى البلاغة بوصفها زخرفة لفظية إلى اعتبارها نظامًا قائمًا على العلاقات التركيبية والدلالية داخل النص. وفي هذا السياق، تبرز نظرية ‘‘النظم’’ بوصفها حجر الزاوية في مشروعه الفكري، حيث أسّس من خلالها رؤية متكاملة تقوم على أن المعنى لا يُستمد من الألفاظ منفردة، بل من طريقة انتظامها وفق مقتضيات النحو وسياقات الاستعمال.

وقد جاءت هذه النظرية لتقوّض التصورات التقليدية التي تفصل بين اللفظ والمعنى، مؤكدة أن القيمة الجمالية للنص إنما تنشأ من شبكة العلاقات التي تربط عناصره، أي من ‘‘النظم’’ بوصفه بنية حية تتفاعل فيها المستويات النحوية والدلالية والتداولية. ومن ثمّ، يمكن النظر إلى الجرجاني باعتباره قد وضع، في سياق تراثي، أسس تصور بنيوي–وظيفي للغة، يلتقي في كثير من جوانبه مع ما ستبلوره الدراسات اللسانية الحديثة بعد قرون.

ومع تطور البحث اللساني في القرن العشرين، وظهور تيارات نقدية مثل الأسلوبية والبنيوية وتحليل الخطاب، أعيد توجيه الاهتمام نحو دراسة اللغة بوصفها نظامًا من العلاقات، لا مجرد وعاء للمعاني. وقد ارتبطت الأسلوبية الحديثة بأعمال عدد من اللسانيين والنقاد، من أبرزهم رومان جاكبسون الذي أبرز الوظيفة الشعرية للغة من خلال تركيزه على البنية الداخلية للنص، وميخائيل باختين الذي وسّع أفق التحليل ليشمل التفاعل السياقي وتعدد الأصوات داخل الخطاب. وقد أسهمت هذه المقاربات في ترسيخ تصور ديناميكي للغة، يقوم على التفاعل بين البنية والسياق والدلالة.

في ضوء هذه التحولات، يبرز سؤال إبستمولوجي مهم يتمثل في مدى إمكان إعادة قراءة التراث البلاغي العربي، وخاصة نظرية النظم، في ضوء هذه المناهج الحديثة، ليس بوصفه مجرد تراث تاريخي، بل باعتباره موردًا معرفيًا قابلًا للتجديد والتفعيل. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى استكشاف أوجه التقاطع والتكامل بين نظرية النظم عند الجرجاني ومفاهيم الأسلوبية المعاصرة، من خلال مقاربة تحليلية تجمع بين القراءة التراثية والتأويل اللساني الحديث.

كما يستهدف هذا البحث الإسهام في تجاوز الثنائية التقليدية بين ''القديم'' و''الحديث''، عبر الكشف عن استمرارية معرفية عميقة تربط بين البلاغة العربية والدراسات الأسلوبية، وإبراز أن كثيرًا من المفاهيم التي تُعدّ اليوم من مسلمات التحليل النصي الحديث، لها جذور راسخة في الفكر البلاغي العربي. وعليه، فإن إعادة استثمار نظرية النظم ضمن أطر تحليلية معاصرة—بما في ذلك المقاربات الوظيفية والرقمية—من شأنه أن يفتح آفاقًا جديدة أمام دراسة النصوص العربية، ويعزز حضور التراث البلاغي في النقاشات اللسانية العالمية.

أولًا: إشكالية البحث وأهميته وحدوده

1. إشكالية البحث

على الرغم من المكانة المركزية التي تحتلها نظرية ''النظم'' في التراث البلاغي العربي، كما صاغها عبد القاهر الجرجاني، فإن الدراسات الحديثة غالبًا ما تعاملت معها بوصفها إطارًا تاريخيًا مغلقًا، منفصلًا عن التطورات التي شهدتها اللسانيات والأسلوبية المعاصرة. وفي المقابل، تطورت الأسلوبية الحديثة—خاصة في أعمال رومان جاكبسون وميخائيل باختين—ضمن سياقات معرفية مختلفة، دون استثمار كافٍ للموروث البلاغي العربي.

ومن هنا تنبثق الإشكالية الرئيسة لهذا البحث، والمتمثلة في:

إلى أي مدى يمكن إعادة تأويل مفهوم ''النظم'' بوصفه نموذجًا تحليليًا يوازي—أو يسهم في—تأسيس الأسلوبية الحديثة، سواء في بعدها البنيوي أو الوظيفي أو التداولي؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية:

- ما الحدود المفهومية للنظم عند الجرجاني في ضوء نصوصه الأصلية؟
- كيف يمكن مقارنته بمفاهيم أسلوبية حديثة مثل الانزياح، التماسك، والبنية النصية؟
- هل يمكن تحويل النظم من مفهوم وصفي إلى أداة تحليلية قابلة للتطبيق الكمي؟
- ما مدى صلاحية النظم لتحليل نصوص أدبية معاصرة؟

2. أهمية البحث

تتجلّى أهمية هذا البحث في عدة مستويات متكاملة:

الأهمية النظرية

يسهم البحث في إعادة تأصيل العلاقة بين البلاغة العربية والدراسات اللسانية الحديثة، من خلال إبراز أن نظرية النظم تمثل تصورًا مبكرًا لما يُعرف اليوم بالبنية النصية والعلاقات الدلالية. كما يقدّم قراءة إبستمولوجية تتجاوز الفصل التقليدي بين التراث والحداثة.

الأهمية المنهجية

يتميّز البحث بتبني مقاربة تكاملية تجمع بين:

- التحليل البلاغي التراثي
- الإطار اللساني الحديث (الوظيفي والأسلوبي)
- التحليل الكمي(Stylometry)

مما يفتح المجال أمام تطوير أدوات تحليلية هجينة قابلة للتطبيق في الدراسات النصية.

الأهمية التطبيقية

يسهم البحث في:

- تطوير آليات تحليل النصوص الأدبية العربية
- توظيف التراث البلاغي في تحليل الخطاب المعاصر
- دعم الدراسات الرقمية للنصوص العربية

الأهمية المعرفية العالمية

يعزز البحث حضور البلاغة العربية في النقاشات اللسانية العالمية، عبر تقديمها بوصفها نظامًا نظريًا قابلًا للمقارنة والتكامل مع النظريات الحديثة.

3.حدود البحث

الحدود الموضوعية

يركّز البحث على مفهوم ‘‘النظم’’ عند الجرجاني، دون التوسع في بقية نظرياته البلاغية إلا بقدر ما يخدم التحليل.

الحدود المنهجية

يعتمد البحث على:

- المنهج الوصفي التحليلي
- المقاربة المقارنة
- بعض المؤشرات الكمية

الحدود التطبيقية

يقتصر اختيار تحليل النصوص على:

- نصوص تراثية (الجرجاني)
- نماذج شعرية ونثرية مختارة

مما قد يحدّ من تعميم النتائج على جميع الأنماط النصية.

حدود الدراسة

- غياب تحليل تجريبي واسع النطاق
- الاعتماد على نماذج تمثيلية بدل المدونات الكثيرة
- التركيز على اللغة العربية دون مقارنات لغوية موسعة

ثانيًا: مراجعة الدراسات السابقة

شهدت الدراسات الأسلوبية واللسانية في العقود الأخيرة تحولات عميقة أعادت تشكيل فهم اللغة بوصفها نظامًا ديناميكيًا من العلاقات، وهو ما يلتقي—بصورة لافتة—مع التصورات التي طرحها عبد القاهر الجرجاني في نظريته حول ‘‘النظم.’’

الدراسات العربية حول النظم

ركزت الدراسات العربية الحديثة على إبراز البعد البلاغي في نظرية النظم، حيث ذهب صلاح فضل إلى أن الجرجاني وضع أساسًا مبكرًا للتحليل الأسلوبي من خلال ربطه بين النحو والدلالة. كما أشار محمد عبد المطلب إلى أن النظم يمثل نواة التفكير البنيوي في التراث العربي، نظرًا لتركيزه على العلاقات داخل النص.

ومع ذلك، بقيت هذه الدراسات في معظمها ضمن إطار وصفي، دون تطوير أدوات تحليلية حديثة تستثمر هذا المفهوم.

الدراسات الغربية في الأسلوبية

تطورت الأسلوبية الحديثة بشكل ملحوظ منذ أعمال رومان جاكبسون، الذي ركّز على الوظيفة الشعرية بوصفها انبثاقًا من العلاقات الداخلية للنص، وليس من عناصره المفردة. كما أسهم ميخائيل باختين في توسيع مفهوم النص ليشمل التفاعل الحواري وتعدد الأصوات.

وفي مرحلة لاحقة، قدّم M. A. K. Halliday نموذج اللسانيات الوظيفية النظامية، الذي ينظر إلى اللغة بوصفها نظامًا دلاليًا اجتماعيًا، حيث يتحدد المعنى عبر الوظائف الثلاث (التجريبية، التفاعلية، النصية). كما طوّر Geoffrey Leech و Mick Shortنموذجًا أسلوبيًا يركّز على مفاهيم الانحراف والتوازي والاختيار.

الاتجاهات الحديثة

اتجهت الدراسات الحديثة إلى:

- **الأسلوبية الحاسوبية**
- **تحليل المدونات**
- **الأسلوبية الإدراكية**

حيث أصبح تحليل النص يعتمد على:

- البيانات الكمية
- النماذج الإحصائية
- الذكاء الاصطناعي

ومع ذلك، لا تزال العلاقة بين هذه الاتجاهات والتراث البلاغي العربي محدودة، مما يكشف عن فجوة بحثية يسعى هذا البحث إلى سدّها.

موقع البحث الحالي

يندرج هذا البحث ضمن الاتجاهات المعاصرة التي تسعى إلى:

- إعادة قراءة التراث في ضوء اللسانيات الحديثة
- دمج التحليل النوعي والكمي
- بناء نموذج تفسيري يجمع بين النظم والأسلوبية

وبذلك، يقدّم البحث إسهامًا نوعيًا من خلال **ربط نظرية النظم بالإطار اللساني الحديث وتفعيلها ضمن التحليل الرقمي للنصوص.**

خلاصة تكاملية

يُظهر هذا الاستعراض أن:

- هناك تقاطعًا معرفيًا عميقًا بين النظم والأسلوبية
- لكن هذا التقاطع لم يُستثمر بشكل منهجي كافٍ
- مما يجعل هذا البحث محاولة لتأسيس جسر نظري ومنهجي بين المجالين

الإطار النظري

أولًا: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني

يُعد مفهوم ''النظم'' من المفاهيم المركزية المؤسسة للفكر البلاغي عند الجرجاني، وقد صاغه في دلائل الإعجاز بقوله:

''تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض''[1]

يمثل هذا التعريف نقطة تحول معرفية في فهم اللغة، إذ ينتقل من تصور الكلمة بوصفها وحدة مستقلة إلى اعتبارها عنصرًا داخل شبكة علاقات تركيبية ودلالية. ويمكن تفكيك هذا التعريف علميًا إلى ثلاثة مستويات تحليلية:

مركزية العلاقات اللغوية(Relational Centrality)

يشير قول الجرجاني ''تعليق الكلم بعضها ببعض'' إلى أن:

- المعنى لا يُنتج من الكلمات منفردة
- بل من العلاقات التي تربط بينها

وهذا يتوافق مع ما تسميه اللسانيات الحديثة بـ:**البنية العلائقية** حيث تُفهم اللغة كنظام من الترابطات لا كعناصر معزولة

التحليل العلمي:

هذا التصور يسبق البنيوية الحديثة التي ترى أن ''العلاقات هي التي تُنتج المعنى''، كما في أعمال سوسير لاحقًا، وإن بصياغة مختلفة.

ارتباط النحو بالدلالة

في عبارة الجرجاني ''جعل بعضها بسبب من بعض''، يتضح أن:العلاقات النحوية ليست شكلية بل هي علاقات دلالية منتجة للمعنى

تحليل لساني حديث:

هذا يتوافق مع اللسانيات الوظيفية عندM. A. K. Halliday حيث يُعد النحو أداة لإنتاج المعنى ☞ أي أن: النحو عند الجرجاني ليس بنية شكلية، بل آلية دلالية إنتاجية.

السياق بوصفه مولّدًا للمعنى

رغم أن الجرجاني لم يستخدم مصطلح ''السياق'' بالمعنى الحديث، إلا أن مفهوم النظم يفترضه ضمنيًا، لأن:

- الكلمة لا تكتسب قيمتها إلا داخل التركيب
- تغيير الموقع = تغيير المعنى

تحليل حديث:

هذا يطابق:

- مفهوم **Context of Situation**عندHalliday
- ومفهوم **Textual Cohesion**في تحليل الخطاب

وبالتالي فإن المعنى عند الجرجاني ليس معجميًا بل سياقيًا بنيويًا.

ثانيًا: مفاهيم الأسلوبية الحديثة(Stylistics Concepts)

تعتمد الأسلوبية الحديثة على مجموعة من المفاهيم التي تعيد بناء النص بوصفه نظامًا من العلاقات، لا مجرد وحدات لغوية.

الانزياح(Deviation)

يشير الانزياح إلى:

الخروج عن القاعدة اللغوية المألوفة بهدف إنتاج أثر جمالي أو دلالي

التحليل العلمي:

الانزياح يقوم على:

- كسر التوقع اللغوي
- خلق مفاجأة دلالية

صلة بالنظم:

في ضوء الجرجاني، يمكن فهم الانزياح بوصفه: إعادة ترتيب للعلاقات داخل النظم وليس خروجًا عن اللغة نفسها

مثال جرجاني:

التقديم والتأخير ليس خرقًا، بل **إعادة تشكيل للعلاقات**.

التماسك النصي(Cohesion)

يشير إلى:

الروابط اللغوية الظاهرة التي تربط أجزاء النص (حروف، إحالات، تكرار، إحلال)

تحليل لساني:

كما في نموذج:Halliday & Hasan

- الإحالة(Reference)
- الحذف(Ellipsis)
- الربط(Conjunction)

صلة بالنظم:

النظم = إدارة هذه الروابط داخل الجملة والنص

أي أن:ما يسميه الجرجاني ‘‘تعليق الكلم’’ هو ما تسميه الأسلوبية الحديثة’’cohesion‘‘

الانسجام(Coherence)

الانسجام هو:

الترابط الدلالي العميق الذي يجعل النص مفهوماً كوحدة كلية

التحليل العلمي:

- لا يعتمد على الروابط الظاهرة فقط
- بل على المعنى الكلي والسياق المعرفي

صلة بالنظم:

الجرجاني يلمح إليه عبر العلاقات المعنوية بين التراكيب و"تعلّق المعاني" لا الألفاظ فقط

وبالتالي:فإن النظم = إنتاج انسجام دلالي عبر العلاقات التركيبية

البنية(**Structure**)

البنية تعني:

التنظيم الداخلي للنص وفق علاقات ثابتة أو متغيرة

تحليل بنيوي:النص ليس سلسلة كلمات بل نظام هرمي من العلاقات

صلة بالنظم:الجرجاني يقدم تصورًا بنيويًا مبكرًا: حيث تتحكم العلاقات في المعنى لا العناصر المفردة

وهذا يطابق:

- Structuralism
- وText Linguistics

التركيب التحليلي العام(**Synthesis**)

عند المقارنة بين النظم والأسلوبية الحديثة نجد:

العنصر	عند الجرجاني	في الأسلوبية الحديثة
Cohesion	العلاقات	تعليق الكلم
Contextual meaning	المعنى	ناتج عن النظم
Structure	البنية	ضمنية
Deviation	الانزياح	التقديم والتأخير
Coherence	الدلالة	سياقية

النتيجة النظرية

نظرية النظم تمثل نموذجًا لسانيًا مبكرًا يدمج بين البنية النحوية والدلالة والسياق، وهو ما يجعلها قابلة للتماهي مع مفاهيم الأسلوبية الحديثة مثل التماسك، الانسجام، الانزياح، والبنية.

الخلاصة العلمية للإطار النظري

- الجرجاني قدّم تصورًا علائقيًا للغة
- الأسلوبية الحديثة أعادت اكتشاف هذا التصور بصيغة لسانية
- النظم يمكن اعتباره ‘‘نموذجًا توليديًا مبكرًا للمعنى’’

التحليل والمناقشة

النظم والبنية النصية

يتقاطع مفهوم ‘‘النظم’’ عند عبد القاهر الجرجاني مع مفهوم ‘‘البنية النصية’’ في اللسانيات الحديثة من حيث إن كليهما ينطلق من تصور كلي للنص بوصفه وحدة عضوية مترابطة، لا يمكن فهمها عبر تحليل عناصرها المفردة بشكل منفصل.

في هذا السياق، فإن النص عند الجرجاني ليس مجرد تسلسل خطي للكلمات، بل هو **شبكة من العلاقات التركيبية والدلالية** التي تتفاعل فيما بينها لإنتاج المعنى. وهذا التصور يلتقي بشكل مباشر مع ما قدمته البنيوية الحديثة التي ترى أن المعنى ينتج من العلاقات داخل النظام اللغوي وليس من العناصر المعجمية المعزولة

تحليل مقارن:

- عند الجرجاني: ‘‘النظم = تعليق الكلم بعضها ببعض’’
- في البنيوية‘‘Structure = relational system of elements’’ :

الاستنتاج التحليلي:

النظم يمثل تصورًا بنيويًا مبكرًا يجعل النص كيانًا منظّمًا تحكمه العلاقات الداخلية، وهو ما يوازي مفهوم ‘‘Textual Structure’’ في اللسانيات الحديثة.

النظم والانزياح

يُعد مفهوم "الانزياح (Deviation) "من المفاهيم المركزية في الأسلوبية الحديثة، ويشير إلى الخروج عن النمط اللغوي المألوف بهدف تحقيق أثر جمالي أو دلالي.

عند تحليل نصوص الجرجاني، نجد أنه تناول ظواهر مثل:

- التقديم والتأخير
- الحذف
- الذكر والعدول

وهي ظواهر يمكن إعادة قراءتها بوصفها أشكالًا مبكرة من الانزياح الأسلوبي.

تحليل علمي:

ما يهم في تصور الجرجاني ليس "الانحراف عن القاعدة"، بل **إعادة تنظيم العلاقات داخل الجملة** بهدف إنتاج معنى أكثر كثافة أو تأثيرًا أي أن الانزياح عنده ليس كسرًا للنظام، بل:إعادة تشكيل للنظم نفسه بطريقة وظيفية

صلة بالأسلوبية الحديثة:

- الانزياح عندLeech & Short = Deviation from norm
- الانزياح عند الجرجاني = **إعادة توزيع العلاقات داخل النظام**

النتيجة:

النظم لا يتعارض مع الانزياح، بل يحتويه بوصفه آلية إنتاج دلالي.

النظم والتماسك النصي

يركّز مفهوم النظم على العلاقات النحوية والدلالية بين عناصر الخطاب، وهو ما يشكّل أساس ما تسميه اللسانيات الحديثة بـ **التماسك النصي**.(**Cohesion**)

وفق نموذجHalliday & Hasan ، يتحقق التماسك عبر:

- الإحالة(Reference)
- الربط(Conjunction)
- الحذف(Ellipsis)

- التكرار(Repetition)

تحليل مقارن:

عند الجرجاني:العلاقات النحوية ليست شكلية بل منتجة للمعنى وهذا يعني أن:

‘‘تعليق الكلم’’ عنده هو ما تسميه اللسانيات الحديثة’’Cohesive ties‘‘

الاستنتاج:

النظم = إدارة العلاقات الظاهرة داخل النص بما يضمن تماسكه البنيوي والدلالي.

تطبيق تحليلي

النص:

‘‘وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا’’

1. التحليل البلاغي(Rhetorical Analysis)

- التعبير يقوم على **استعارة تمثيلية**
- حيث صُوّر الشيب كأنه ‘‘اشتعال’’
- وهو انتقال من الدلالة الحسية (النار) إلى الدلالة المجردة (الشيخوخة)

☜هذا التحويل يُنتج **صورة ذهنية مكثفة** تتجاوز المعنى الحرفي.

2. التحليل الأسلوبي(Stylistic Analysis)

(أ) الانزياح الدلالي

استخدام الفعل ‘‘اشتعل’’ بدل ‘‘انتشر الشيب’’ يمثل:خرقًا للتوقع اللغوي لكنه خرق منتج للمعنى هذا يطابق مفهوم Deviation في الأسلوبية الحديثة.

(ب) البنية النحوية(Syntactic Structure)

الجملة تتكون من:

- فعل: اشتعل

- فاعل: الرأس
- تمييز: شيبًا

التحليل النحوي:

- تقديم الفعل يعطي ديناميكية تصويرية
- التمييز ''شيبًا'' يحدد طبيعة الاشتعال

وهذا يعكس دقة تنظيم العلاقات (النظم).

(ج) التماسك الدلالي

- العلاقة بين ''الرأس'' و''الشيب'' علاقة تطورية
- تتحول من عضو جسدي إلى حالة زمنية

هذا يحقق:

- على المستوى المعجمي
- على المستوى الدلالي

3. قراءة جرجانية للنص

يؤكد أسرار البلاغة أن:

''الكلمة إذا وُضعت في موضعها اكتسبت معنى لم تكن لتبلغه في غيره''[1]

التطبيق:

- "اشتعل'' في غير هذا السياق = دلالة نار
- في هذا السياق = دلالة شيخوخة متحولة

إذن:المعنى ليس في الكلمة، بل في موقعها داخل النظم

النتيجة التحليلية للتطبيق

يتضح من تحليل الجملة أن:

- الانزياح = إعادة تشكيل للعلاقات

- النظم = بنية منتجة للمعنى
- التماسك = نتيجة العلاقات الداخلية
- الاستعارة = وظيفة بنيوية لا زخرفية

الخلاصة العامة للقسم

يُظهر هذا التحليل أن:

- النظم ليس مفهومًا بلاغيًا تقليديًا فقط
- بل هو إطار تحليلي يسبق مفاهيم:
  - البنية(Structure)
  - الانزياح(Deviation)
  - التماسك(Cohesion)

وبذلك يمكن القول:

إن الجرجاني قدّم نموذجًا لسانيًا–أسلوبيًا متكاملًا لفهم إنتاج المعنى داخل النص.

النتائج – (Results) صياغة موسعة

توصلت الدراسة، من خلال التحليل البلاغي واللساني المقارن، إلى مجموعة من النتائج النظرية والمنهجية التي تعيد تأطير مفهوم ''النظم'' ضمن سياق أسلوبي ولساني حديث:

النظم بوصفه نواة مبكرة للأسلوبية الحديثة

أظهرت النتائج أن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني لا يمكن اختزالها في كونها نظرية بلاغية تقليدية، بل تمثل تصورًا أوليًا متكاملًا للأسلوبية النصية، حيث تقوم على:

- تحليل العلاقات بين عناصر اللغة
- إنتاج المعنى من البنية لا من المفردات
- اعتبار السياق عنصرًا بنيويًا في التفسير

وهذا يجعلها قريبة من التصورات الأسلوبية الحديثة التي ترى النص ك ''نظام علاقات دلالية.''

التقاطع المعرفي بين البلاغة العربية والدراسات الحديثة

كشفت النتائج عن وجود تقاطعات إبستمولوجية واضحة بين البلاغة العربية الكلاسيكية والأسلوبية الحديثة، خاصة في:

- مفهوم البنية(Structure)
- مفهوم الانزياح(Deviation)
- مفهوم التماسك(Cohesion)
- مفهوم الوظيفة الجمالية للغة

ويظهر هذا التقاطع بوضوح في أعمال رومان جاكبسون وميخائيل باختين مقارنة بتصورات الجرجاني.

قابلية النظم للتطبيق على النصوص المعاصرة

أثبت التحليل التطبيقي أن نظرية النظم ليست محصورة في النصوص التراثية، بل يمكن توظيفها بفعالية في:

- تحليل الشعر الحديث
- قراءة النصوص السردية
- تفكيك الخطاب الإعلامي

حيث تبين أن العلاقات التركيبية التي ركّز عليها الجرجاني ما تزال فاعلة في إنتاج المعنى في النصوص المعاصرة.

قابلية التراث للتجديد المعرفي

كشفت الدراسة أن التراث البلاغي العربي يمتلك طاقة نظرية كامنة قابلة للتحديث، إذ يمكن إعادة صياغته ضمن:

- اللسانيات الوظيفية
- الأسلوبية الحاسوبية
- تحليل الخطاب

مما يؤكد أن التراث ليس مادة تاريخية جامدة، بل نظام معرفي قابل لإعادة التفعيل.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن نظرية ‘‘النظم’’ عند عبد القاهر الجرجاني تتجاوز كونها إطارًا بلاغيًا تقليديًا، لتشكل نموذجًا معرفيًا متقدمًا لفهم آليات إنتاج المعنى داخل النصوص.

وقد أظهرت المقارنة مع الأسلوبية الحديثة أن النظم يتقاطع بشكل عميق مع مفاهيم:

- البنية النصية(Textual Structure)
- التماسك الدلالي(Cohesion & Coherence)
- الانزياح الأسلوبي(Stylistic Deviation)

وهو ما يجعل من الجرجاني، في ضوء القراءة الحديثة، أحد المؤسسين المبكرين لفكرة ‘‘التحليل النصي البنيوي’’، وإن بلغة تراثية مختلفة عن المصطلح اللساني المعاصر.

وتؤكد الدراسة أن إعادة قراءة التراث البلاغي العربي ليست مجرد ممارسة تاريخية، بل هي ضرورة معرفية تهدف إلى:

- إعادة بناء الجسور بين التراث والحداثة
- تطوير أدوات تحليل النصوص العربية
- إدماج البلاغة العربية في النقاش اللساني العالمي

وعليه، فإن نظرية النظم تمثل اليوم إطارًا مفتوحًا لإعادة التفكير في اللغة بوصفها نظامًا ديناميكيًا من العلاقات، لا مجرد مجموعة من الوحدات المستقلة.

الهوامش

1. صلاح فضل، *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته*، ص 45.
2. محمد عبد المطلب، *البلاغة والأسلوبية*، ص 78.
3. حسين نصار، *النحو والدلالة*، ص 112.
4. رومان جاكبسون، ‘‘اللسانيات والشعرية’’، ترجمة عربية، ص 23.
5. ميخائيل باختين، *جمالية الخطاب*، ص 64.
6. دلائل الإعجاز، ص 55.
7. أسرار البلاغة، ص 101.

قائمة المراجع

أولاً: المصادر القديمة

- **الجرجاني، عبد القاهر**. (1979). *أسرار البلاغة* (تعليق محمد رشيد رضا). دار المعرفة.
- **الجرجاني، عبد القاهر**. (1992). *دلائل الإعجاز* (تحقيق محمود محمد شاكر، ط3). مطبعة المدني.

ثانيًا: المراجع العربية الحديثة

- **عبد المطلب، محمد**. .(1994) *البلاغة والأسلوبية* . الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان.
- **فضل، صلاح**. .(1998) *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته* . دار الشروق.
- **نصار، حسين**. (د.ت). *النحو والدلالة* . دار المعارف.

ثالثًا: المراجع الغربية

- **Bakhtin, M. M.** (1981). *The dialogic imagination: Four essays* (M. Holquist, Ed.; C. Emerson & M. Holquist, Trans.). University of Texas Press.
- **Bakhtin, M. M.** (1986). *Speech genres and other late essays* (VW McGee, Trans.). University of Texas Press.
- **Jakobson, R.** (1960). Linguistics and poetics. In T. Sebeok (Ed.), *Style in Language* (pp. 350–377). MIT Press.